آراء الجاحظ في اللغة

قراءة في ضوء لسانيات التراث

خديجة أعظم

الألوكة
alukah.net

آراء الجاحظ في اللغة قراءة في ضوء لسانيات التراث

أعظم خديجة
طالبة دكتوراه
khadijaadam@gmail.com

الملخص:

إن الجاحظ أحد كبار علماء القرن الثاني الهجري الذين اتسموا بموسوعيتهم الفكرية وبطَرقهم لعدة مجالات علمية منها الأدب والبلاغة وعلم اللغة. وأقف خلال هذه المداخلة عند آرائه عن اللغة، بهدف تقصي أقوال الجاحظ عن اللغة من خلال مصنفاته وخاصة "البيان والتبيين" ودراستها في ضوء لسانيات التراث.

وإن مكانة اللغة في الوجود الفكري الإنساني جعلها محط اهتمام العديد من المفكرين والعلماء عبر التاريخ، فما بالك بالجاحظ وهو أحد رواد العلم والأدب في عصره، فقد أظهرت كتاباته أنه ناقش العديد من قضايا اللغة منها: نشأتها، وأول من تحدث بالعربية، وسبل اكتساب اللغة وتعلمها، والأمراض اللغوية، ومخارج الأصوات ، ينضاف إلى هذا وذاك أنه وضع لبنات في أساس علم اللغة الاجتماعي، وتطرق للأصوات اللغوية بالدراسة والتصنيف.

1- مسوغات القراءة في التراث اللغوي العربي:

يندرج هذا البحث في إطار ما أسماه العديد من الباحثين اللسانيين العرب ب"لسانيات التراث" ومنهم "مصطفى غلفان" الذي يعدها واحدة من ثلاثة أنواع من اللسانيات وهي: التمهيدية والتراثية والعربية، ويصفها بأنها تلك اللسانيات التي تتخذ التراث اللغوي العربي القديم في شموليته موضوعا لدراساتها المتنوعة، والمنهج الذي ينطلق منه كُتَّابها فهو منهج إعادة القراءة، ومن غاياتها وأهدافها قراءة التصورات اللغوية العربية القديمة وإعادة تأويلها وفق ما وصل إليه البحث اللساني الحديث، والتوفيق بين الاثنين؛ التراث اللغوي واللسانيات الحديثة، وبالتالي إخراج هذا الدرس اللغوي التراثي في حلة جديدة تبرز قيمته التاريخية والحضارية؛ إذ تتجاوز إعادة

القراءة شرح مادته وتنظيمها إلى محاولة تأويل التراث والربط بينه وبين ما هو موجود حاليا من درس وبحث، بغية الخروج إلى الحاضر والمعاصرة.[1]

وتنقسم إعادة القراءة إلى ثلاثة أنواع:

- القراءة الشمولية: ترى التراث اللغوي العربي موجودا لغويا قائم الذات، على شكل كتلة من الدوال المتراصة، تتمثل إعادة قراءتها في تجديد تفكيك رسالته عبر الزمن.
- القراءة القطاعية: تختص بجانب محدد من الظاهرة اللغوية في إطار التراث اللغوي، أي بمستوى محدد من مستويات اللسان سواء المستوى الصرفي أو النحوي أو الدلالي، باعتبار أن كل واحد من هذه المستويات يشكل نظرية محددة وتقوم على منهجية خاصة بها.
- القراءة ذات الأنموذج الواحد: تركز على الإنتاجات اللغوية لشخص تراثي مختار؛ تدرس فكره اللغوي وتصوره ومنهجه في فرع من فروع البحث اللغوي.[2] وهذه الأخيرة هي التي طبقت خلال هذه الدراسة.

كما أن من أهداف دراسة التراث اللغوي، عبر مؤلفات الجاحظ خاصة، تجميع الآراء اللغوية ودرسها على ضوء علم اللسانيات الحديث؛ لمعرفة بعض من أثر الثقافة اللغوية العربية في علم اللسانيات الحديث.

ومن الأسباب التي دفعتني للبحث والتقصي فيما تركه الجاحظ لنا من درر علمية، وإلى التنقيب داخل تراثنا العربي الثمين على وجه الخصوص:

أولا، أن الباحث اللساني يتوجب عليه إضافة لتبحره في الأبحاث والدراسات الحديثة سواء العربية أو الأعجمية ألا يهمل الجهود التي بذلها أسلافه من أجل بناء الدرس اللغوي العربي؛ واضعا نصب عينيه أوجه الاختلاف والإتلاف بين المرحلتين، وما تتسم به كل واحدة منهما من خصائص، وما تستدعيه من منهج للاشتغال. وهذا الأمر ما فتئ أساتذتنا الكرام يحثوننا عليه.

---

[1] اللسانيات العربية: رؤية منهجية في المصادر والأسس النظرية، أعمال الندوة الدولية حول اللغة العربية والنظريات اللسانية: الحصيلة والآفاق، مصطفى غلفان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، 2007، ص:51-70، https://search.mandumah.com/Record/596621

[2] الجاحظ في الخطاب اللساني العربي، يوسف منصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع: 2 و3، الجزائر، 2008.

وثانيا، أن مسار العلم هو مسار تراكمي وتطوري، فالباحث في أي حقل علمي، ملزم بأن يكون على معرفة بأعمال من سبقوه حتى لا يكرر ما قاموا به، أو يسقط في أخطائهم، أو يضيع الجهد في قضايا عالجوها أو في قضايا لا تنتمي إلى إشكاليات عصره أو أسئلة زمانه.[3]

2- أراء في اللغة :

2.1- أصل اللغة:

يرى الجاحظ أن اللغة بدأت توقيفا من الله عز وجل، وقد علم منها لآدم ما يصلح لدنياه وآخرته[4]، وقد تبعه في هذا الرأي ابن فارس في كتابه الصاحبي يقول: ولعل ظانا يظن أن اللغة التي دللنا على أنها توقيف إنما جاءت جملة واحدة وفي زمان واحد، وليس الأمر كذا، بل وقف الله عز وجل آدم على ما شاء أن يعلمه إياه مما احتاج إلى علمه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله.[5] إلا أن انتشارها وتطورها اصطلاحي دعته حاجة تطور المجتمعات.[6]

2.2- أول من تكلم اللغة العربية:

ويرى الجاحظ أن إسماعيل عليه السلام هو أول أعجمي تكلم بالعربية دون تعليم ولا تدريب، حيث يعتبر أن الله ألهمه اللغة العربية كما سبق وألهمها لآدم عليه السلام، قال: " وقد جعلوا إسماعيل وهو ابن عجميين عربيا؛ لأن الله تعالى فتق لهاتَه بالعربية المبينة على غير التلقين والترتيب، ثم فطره على الفصاحة العجيبة على غير النشو والتقدير، إلى آخره. ويستدل على ذلك بأنه قبل إسماعيل ما كان يمكن للولد أن يكون عربيا إلا إذا كان أبوه عربيا وكذلك جده. وبقول أستاذه أبي عبيدة ورواية قيس بن الربيع؛ قال الجاحظ: "روى قيس بن الربيع عن بعض أشياخه عن ابن عباس:" أن الله ألهم إسماعيل العربية إلهاما"، وكذلك بالآية الكريمة: "وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" ثم يشبه حال نطق إسماعيل باللغة العربية بالأنبياء عليهم السلام؛ عيسى ويحيى وآدم، وكذا بحواء، ثم بهدهد سليمان، والنملة، وكل شيء أنطقه الله بقدرته وسخره لمعرفته.[7]

---

[3] العالم اللساني عبد القادر الفاسي الفهري، حاور الغرب، وقرأ العرب، وانشغل بقضايا وطنه وعصره، فاطمة يحياوي، آفاق لسانية وتخطيطية مقارنة: أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، دار الأمان، الرباط، 2021، ص: 267-268.

[4] الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج:5، ط:2، مكتبة مصطفى البابي، مصر،1950، ص: 201-202

[5] الجاحظ والدراسات اللغوية، عطية سليمان أحمد، ص: 13

[6] الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج:1، ط:2، مكتبة مصطفى البابي، مصر،1950،ص: 348

[7] نفسه، ص: 293.

وحسب ما توصلت اللسانيات التعليمية إليه فإن الطفل قد يزداد لأبوين يتكلمان لغة ما تعتبر لغته الأم تم ما يلبث، أن يتعلم لغة أو عدة لغات أخرى نتيجة لوضعه في وسط به أناس يتحدثون تلك اللغات ؛ كما هو الحال بالنسبة لأطفال المهاجرين أو الذين تعمل لديهم مربيات أجنبيات، وهذا ما عرف بظاهرة الانغماس اللغوي.[8]

3-آراء في اللسانيات الاجتماعية:

3.1- التداخل اللغوي:

نتيجة لاستقراء آثار الأمم السابقة فقد لاحظ الجاحظ أن الناس يتأثرون بلغة الأجانب الوافدين عليهم قال: "وأهل الأمصار إنما يتكلمون على لغة النازلة فيهم من العرب، ولذلك تجد الاختلاف في ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر .... وقد أثبتت اللسانيات الاجتماعية أن تجاور شعبين يؤدي إلى تبادل التأثر والتأثير بين لغتيهما، وقد نتج عن تجاور العرب والفرس إلى تبادل لغوي بينهما لأن " احتكاك اللغات ضرورة تاريخية واحتكاك اللغات يؤدي حتما إلى تداخلها" [9]

3.2- أثر المعايشة في اكتساب اللغات النازحة وفهمها:

بلغ التبادل اللغوي أقصى شدته بين العربية والفارسية نتيجة لاحتكاك العرب والفرس، مما نتج عنه سهولة التفاهم والتحاور فيما بينهم، ولو في إطار لغة يشوبها الكثير من الخطأ، قال الجاحظ:" فلولا طول مخالطة السامع للعجم وسماعه للفاسد من الكلام لما عرفه"، أي أن تعلم اللغة وفهمها يتم عن طريق المعايشة وطول المقام في نفس البيئة اللغوية، وإن كانت اللغة المحصلة لغة دارجة يشوبها كثير من الخطأ، ويفسر الجاحظ رفض النحاة السماع من الذين يتقنون هذه الدارجة (الفاسدة) بوقوع هذا الاختلاط بين العرب والعجم، قال: "ومتى وجد النحويون أعرابيا يفهم هذا وأشباهه بهرجوه ولم يسمعوا منه، لأن ذلك يدل على طول إقامته في الدار التي تفسد اللغة وتنقص البيان"[10]

---

[8] الانغماس اللغوي ودوره في تعليم اللغة العربية، نادية زيد الخير، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، ع:1 ، 2021، الجزائر، ص: 295-317

[9] اللغة، ج، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، ص:348.

[10] البيان والتبيين ج:1، مرجع سابق، ص: 163

وفسرت اللسانيات الحديثة الاختلاف الموجود في لغة من احتك بالأجانب، أو بدأ في تعلم لغة ثانية، أنه في طور تكوين لغة وسيطة ناتجة عن تأثير لغته الأولى في الثانية، فهو يكون لنفسه نسقا وسيطا بين اللغتين في محاولة للاقتراب أكثر من اللغة الثانية، ومن الضروري أن تنتج أخطاء لغوية عن تطور هذه اللغة الوسيطة.[11]

3.3- أثر التطور المجتمعي في الاكتساب اللغوي:

تتطور اللغة نتيجة لتطور المجتمع ونمو حاجاته، فتنمو بدورها لتلبية هذه الحاجات، قال: " تزعم الهند أن سبب ماله كثر كلام الناس واختلفت صور ألفاظهم ومخارج كلامهم ومقادير أصواتهم في اللين والشدة وفي المد والقطع، كثرة حاجاتهم ولكثرة حاجاتهم كثرت خواطرهم وتصاريف ألفاظهم واتسعت على قدر اتساع معارفهم"، ومن رأيه أن العكس صحيح، فارتفاع حاجة الفرد ومتطلباته داخل المجتمع يحثه على تعلم لغته ويرغبه في إتقانها؛ قال الجاحظ: " إن من أعون الأسباب على تعلم اللغة فرط الحاجة إلى ذلك، وعلى قدر الضرورة إليها في المعاملة يكون البلوغ فيها والتقصير عنها" ، ويضرب عدة أمثلة على هذا التطور اللغوي منها لفظتي: "مخضرم" ويقصد بها من أدرك الجاهلية والإسلام، و "منافق" التي تعني المرائي الذي يبدي عكس ما يوجد في خاطره.[12]

4- الطفل واللغة:

4.1- اكتساب اللغة:

يرى الجاحظ أن أول ما ينطق به الطفل من حروف هما حرفي الميم والباء، حيث قال:" والميم والباء أول ما يتهيأ في أفواه الأطفال، كقولهم: ماما، وبابا؛ لأنهما خارجان من عمل اللسان، وإنما يظهران بالتقاء الشفتين"[13] فحسب الجاحظ ما كان نطق الميم والباء ليتيسر للطفل لو لم يكونا يصدران عن الشفتين ولا يتدخل اللسان في عملية النطق بهما، كما لا تتدخل فيها الأسنان، لذلك شبه الجاحظ الطفل بالأهتم حيث قال: "وليس شيء من الحروف أدخل في باب النقص والعجز من فم الأهتم، من الفاء والسين إذا كانا وسط الكلمة". كما أقصى الحنك من نطق الميم والباء.

---

[11] تحليل الأخطاء: مقاربة لسانية تطبيقية لتعلم اللغة العربية، المصطفى بنّان، كنوز المعرفة، الأردن، 2015، ص:31.

[12] الحيوان، ج:1، مرجع سابق، ص: 330

[13] البيان والتبيين، ج: 1، مرجع سابق، ص: 62

وقد أثبتت الدراسات اللسانية الحديثة أن أول ما ينطق به الطفل في أي مكان بالعالم هما الحرفان الصادران عن التقاء الشفتين أي ؛الميم والباء، ثم مع التفاعل بلغة مجتمعه ونموه اللغوي والجسدي يبدأ كل طفل في اكتساب لغته الخاصة، وطريقته في نطق الأصوات بما فيهم الميم والباء.[14]

4.2- استجابة الطفل للصوت:

يرى الجاحظ أن للصوت تأثير على الطفل فهو يستجيب لهدهدة الأم، ويبقى هادئا مستمعا لصوتها إلى أن ينام، قال في معرض حديثه عما للصوت من أثر سحري في النفوس: "وبالأصوات ينومون الصبيان والأطفال".[15]

والطفل خلال هذه المرحلة المبكرة من عمره يسمع الأصوات المحيطة به ثم يأخذ في تمييزها شيئا فشيئا؛ فيميز بداية بين الأصوات البشرية والأصوات الأخرى، ثم يكتشف اختلافات الأصوات الآدمية وبالتالي يحدد الأصوات المندرجة في اللغة التي يتكلمها محيطه.[16]

5- آراء في الصوتيات:

5.1- مخارج الحروف:

ذكر الجاحظ في معرض حديثه عن أول ما ينطق به الطفل الشفتان باعتبارهما يكونان مخرج الميم والباء، كما أشار إلى الضاد ومخرجها جانبي الفم فهي تصدر عن الشدق الأيمن أو الأيسر أو كلاهما. إلا أنه لم يتطرق لجميع مخارج الحروف من الحنجرة إلى الأسنان مرورا باللهاة والحلق والحنك الأعلى ودور اللسان. في حين أنه لاحظ الأثر الذي قد يتركه أي خلل أو نقصان يحدث في فيزيولوجية الجهاز الصوتي للإنسان على النطق، فقد يؤدي سقوط الأسنان أو أي خلل في مخارج الحروف إلى ظهور عيوب في الكلام. قال: "وقال سهل بن هارون: لو عرف الزنجي فَرط حاجته إلى ثناياه في إقامة الحروف، وتكميل آلة البيان، لما نزع ثناياه"[17]، كما أشار إلى أن سقوط جميع أسنان الفم أبين للكلام من سقوط بعضها وبقاء الآخر، قال: وقال محمد بن عمرو الرومي، مولى أمير المؤمنين: قد صحت التجربة وقامت العبرة على أن سقوط جميع الأسنان أصلح في الإبانة عن الحروف، منه إذا

---

[14] الجاحظ والدراسات اللغوية، ص: 24

[15] الحيوان ج:4، مرجع سابق، ص: 191

[16] الجاحظ والدراسات اللغوية، مرجع سابق، ص: 28

[17] البيان والتبيين، ج:1، مرجع سابق، ص:58

سقط أكثرها، وخالف أحد شطريها الشطر الآخر، وقد رأينا تصديق ذلك في أفواه قومٍ شاهدهم الناس بعد أن سقطت جميع أسنانهم، وبعد أن بقي منها الثلث أو الربع".[18] ويفسر اللسانيون ذلك بأن خروج الهواء من بين بعض الأسنان الباقية، وفي موضع الأسنان الزائلة يؤدي لاختلال نطق الأصوات، خصوصا الأسنانية والأسنانية اللثوية.

5.2- قوانين صوتية:

قال : من ألفاظ العرب ألفاظ تتنافر، وإن كانت مجموعة في بيت شعر لم يستطع المنشد إنشادها إلا ببعض الاستكراه، فمن ذلك قول الشاعر: وقبر حرب بمكان قفِر ***** وليس قرب قبر حرب قبر

قال : "وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغا واحدا وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري الدهان"، ثم تطرق لتنافر الحروف وتجاذبها؛ قال: "فهذا في اقتران الألفاظ،فأما في اقتران الحروف فإنّ الجيم لا تقارِن الظاء ولا القاف ولا الطاء ولا الغين، بتقديم ولا بتأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين ولا الضاد ولا الذال، بتقديم ولا بتأخير.[19]

يستطيع جهاز النطق الآدمي أن ينتج عددا لا حصر له من الأصوات اللغوية، إلا أن أصوات اللغات تختلف تبعا لاختلاف إيلاء الأمم العناية بمناطق خاصة من جهاز النطق، فقد أهملت الشعوب الهندو أوروبية التجويف الحلقي لذلك لا نجد في بعض لغاتهم صوتي الخاء والغين.

قال الجاحظ: "ولكل لغة حروف تدور في أكثر كلامها كنحو استعمال الروم للسين، واستعمال الجرامقة للعين"[20]، "وقال الأصمعي: ليس للروم ضاد، ولا للفرس ثاء، ولا للسرياني ذال"[21].

وينقل الجاحظ الزعم أن الياء واللام والألف والراء أكثر الحروف ترددا من غيرها، وأن الحاجة إليها أشد، ثم يعقب بقوله: " واعتبر ذلك بأن تأخذ عدة رسائل، وعدة خطب من جملة خطب الناس ورسائلهم، فإنك متى حصلت جميع حروفها وعددت كل شكل على حدة علمت أن هذه الحروف الحاجة إليها أشد"[22]

---

[18] نفسه، ص:62

[19] نفسه، ص:69

[20] نفسه، ص:64

[21] نفسه، ص:65

ومنهج الجاحظ في هذه التجربة الصوتية شبيه بأحدث منهج متبع الآن، وهو التحليل التقابلي[23]

6- أمراض الكلام:

يتم اختلال معايير الكلام لسببين، أحدهما، إرادي ناجم عن رغبة الخطيب أو الشاعر في تجويد كلامه، مثال: الضرورة الشعرية، والآخر لا إرادي ناتج عن علة ذات أصل عضوي أو نفسي أو وظيفي. وتتباين ردود فعل المجتمع تجاه هذه الأمراض الكلامية، "فقد تكون مقاومة تكفل رد الأمور إلى نصابها الصحيح، وتأخذ المخالف ببعض الجزاء"[24]المعنوي، أخفه الاستهزاء وأصعبه المقاطعة. وقد يتقبل المجتمع مرضا في كلام الشاعر فيكون الجزاء إيجابيا.[25]

6.1- العي اللغوي:

تطرق الجاحظ في بداية الكتاب إلى "العي اللغوي" وجريان العادة عند الشعراء والأدباء على التعوذ بالله منه، وأسهب في إبراز عيبه وأثره الصحي والاجتماعي على المصاب به، واستشهد بقصة نبي الله موسى عليه السلام حين دعا الله أن يفك عقدة لسانه، ليكون فصيحا أمام فرعون. ثم أشار إلى أن الله سبحانه وتعالى أكرم الإنسان بتعليمه البيان وأنعم عليه بتقويم لسانه، واعتبر العي أكثر ضررا وملامة عند الناس من الخرس، كما قرنه بالحصر. ثم قام الجاحظ بذكر العديد من عيوب النطق التي اعتبرها أخف ضررا من العي والحصر قال:"وليس اللَّجلاج والتمتام، والألثغ والفأفاء، وذو الحبسة والحكلة والرتةِ وذو اللفف والعجلة، في سبيل الحَصِرِ في خطبته، والعيي في مناضلة خصومه"[26] و تصنف هذه العيوب ضمن فئة العيوب الفسيولوجية الناجمة عن نقص في الجهاز الصوتي للغة نتيجة لحالات خِلقية أو مرضية تصيبه فتؤدي إلى اختلاله، وقد قام الجاحظ بإعطاء تفاسير مختصرة لكل واحد من هذه الأمراض الكلامية في أماكن متفرقة من كتاباته.[27] ثم عقد مقارنة بين نوعين من عيوب النطق : "كما أن سبيل المفحم عند الشعراء، والبكئ عند الخطباء، خلاف سبيل المسهب

---

[22] البيان والتبيين، ج1، مرجع سابق، ص:22

[23] تحليل الأخطاء، مرجع سابق، ص: 38

[24] اللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة، ص: 4

[25] عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين: دراسة لغوية، نورة مروش، 2013، الجزائر، ص: 10

[26] نفسه.

[27] محمد عبد الزهرة غافل الشريفي، الدرس اللساني عند الجاحظ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، 2019،ص: 193

الثرثار، والخطل المكثار" والتمس العذر لأصحاب التشديق والتقعير والتقعيب، في الوقت الذي ذم تكلف العيي والحصر لإلقاء الخطب، قال:" ثم اعلم–أبقاك الله– أنّ صاحب التشديق والتقعير والتقعيب من الخطباء والبلغاء، مع سماحة التكلف، وشنعة التزيد، أعذر من عيي يتكلف الخطابة، ومن حصِرٍ يتعرض لأهل الاعتياد والدربة"[28].

6.2- اللثغة و أنواعها:

تحدث الجاحظ عن اللثغة في عدة مواضع من كتبه، حيث قال أبو عثمان محصيا لأنواعها وشارحا لكل نوع على حدة: "وهي أربعة أحرف :القاف،والسين،واللام،والراء"[29]، "وربما اجتمعت في الواحد لُثغتان في حرفين"[30]. وأدرج مثالا عن اللثغة فقال: "وقد كانت لُثغة محمد بن شبيبٍ المتكلّم، بالغين، وكان إذا شاء أن يقول :عمرو، ولعمري، وما أشبه ذلك على الصحة قاله، ولكنه كان يستثقل التكلف والتهيؤ لذلك، فقلت له :إذا لم يكن المانع إلا هذا العذر فلست أشك أنك لو احتملت هذا التكلف والتتبع شهرا واحدا أن لسانك كان يستقيم"[31]، وهذا يظهر أن الجاحظ لم يكتف بملاحظة عيوب النطق ووصفها بل حاول التفكر في طرق التخلص منها. وفي الجدول الموالي تلخيص لآراء الجاحظ حول الأنواع الأربعة للثغة[32]:[33]

الحرف الأصلي	البديل	الوصف
في الراء	ياء	فمنهم من إذا أراد أن يقول :عمرو، قال :عمي، أحقرهن وأوضعهن لذي المروءة
	ظاء	إذا أراد أن يقول : واستبدت مرة واحدة *** إنما العاجز من لا يستبد قال: واستبدت مظَّة واحدة *** إنما العاجز من لا يستبد
	ذال	ومنهم من إذا أراد أن يقول :عمرو، قال :عمذ.
	غين	ومنهم من إذا أراد أن يقول :عمرو، قال :عمغ. أقلها قبحا، وأوجدها في كبار الناس وبلغائهم وأشرافهم وعلمائهم. وهي أيسرهن، ويقال إنّ صاحبها لو جهد نفسه جهده، وأحد لسانه، وتكلّف

[28] البيان والتبيين، ج: 1، مرجع سابق، ص:13

[29] نفسه، ص: 34

[30] نفسه، ص: 36

[31] نفسه

[32] البيان والتبيين، ج: 1، مرجع سابق، ص: 34 - 36

[33]

		مخرج الراء على حقِّها والإفصاح بها، لم يك بعيدا من أن تجيبه الطَّبيعة، ويؤثِّر فيها ذلك التعهد أثراً حسناً.
في اللام	ياء	مِن أهلها من يجعل بدل قوله :اعتَلَلْت :اعتييت، وبدل جمل :جمي.
	كاف	كالذي عرض لعمر أخى هلال، فإنه كان إذا أراد أن يقول: ما العلة في هذا، قال مكْعِكَّة في هذا.
في القاف	طاء	صاحبها يجعل القاف طاءً، فإذا أراد أن يقول :قلت له، قال: طُلْت له؛ وإذا أراد أن يقول : قال لي، قال :طال لي.
في السين	ثاء	كقولهم لأبي يكسوم :أبي يكثوم؛ وكما يقولون :بثْرةٌ، وبِثْم اللَّهِ، إذا أرادوا بسرة، وبسم اللَّه.

وقد أدرج مثالا لهذا العيب بشخص يدعى "واصل بن عطاء" اشتهر بأنه ألثغ فاحش اللثغ، وبأبو حذيفةَ وكلاهما لجئا لمواراة لثغتهما إلى إسقاط الراء من كلامهما، وتعويض الكلمات المتضمنة للراء بمرادفاتها؛ فيقولا بعثت عوضا عن أرسلت ومضجع عوضا عن فراش والقمح أو الحنطة عوضا عن البر ويغضان الطرف عن تحري الفصاحة.[34]

وتعرف اللثغة بأنها انحراف عن معايير تقطيع الحروف عند النطق بها، وهي "العدول في اللفظ من حرف إلى حرف غيره وقد تعتري بعض الحروف دون بعض".[35]

وميز الجاحظ اللثغة عند الصبيان من اللثغة عند كبار السن بقوله: "والذي يعترِي اللِّسان مما يمنع من البيان أمور: منها اللثغة التي تعتري الصبيان إلى أن ينشئوا، وهو خلاف ما يعتري الشيخ الهرم الماج، المسترخِي الحنك،المرتفع اللثة؛ وخِلاف ما يعتري أصحاب اللكن من العجم، ومن ينشأ من العرب مع العجم"[36]

وتعرض لثغة طارئة للأطفال نتيجة عدم اكتمال نمو مداركهم الحسية وسرعان ما تزول مع النمو والمران.

رافق إسهاب الجاحظ في الحديث عن العي اللغوي وكذا اللثغة ذكره للعديد من عيوب النطق الأخرى، فعرف بعضها باقتضاب شديد، في حين اكتفى بذكر البعض الآخر بإدراج اسمه فقط. حيث قال: "وقال أبوعبيدة: إذا

---

[34] نفسه، ص: 14- 17

[35] عبد الرحمن الحاج صالح مدخل إلى علم اللسان الحديث 4، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1974، ص:54

[36] البيان والتبيين، ج:1 ص: 71

أدخل الرجل بعض كلامه في بعض فهو ألف، وقيل بلسانه لَفَف، كأنه لما جلس وحده ولم يكن له من يكلِّمه، وطال عليه ذلك،أصابه لفف في لسانه، وكان يزيد بن جابر، يقال له الصموت؛ لأنه لما طال صمته ثقل عليه الكلام، فكان لسانه يلتوي، ولا يكاد يبين، ويقال: في لسانه حبسة، إذا كان الكلام يثقل عليه ولم يبلغْ حد الفأْفاء والتمتام، ويقال في لسانه عقْلة، إذا تعقل عليه الكلام، ويقال: في لسان لكنة، إذا أدخل بعض حروف العجم في حروف العرب، وجذبت لسانه العادة الأولى إلى المخرج الأول، فإذا قالوا: في لسانه حكْلة، فإنما يذهبون إلى نقصان آلة المنطق، وعجز أداة اللفظ، حتى لا تعرف معانيه إلا بالاستدلال[37].

والضجم : اعوجاج في الفم، والفقم مثله، والروق: ركوب السنا لشفَة، وفي الخطباء من كان أشغى، ومن كان أشدق، ومن كان أروق، ومن كان أضجم، ومن كان أفقم، وفي كل ذلك قد روينا الشاهد والمثل.[38]

خاتمة:

أثناء القيام بهذه الدراسة لكتابات الجاحظ، ورغم أنه لم يكن يميل في مؤلفاته الى التنظير ووضع الحدود لكل ظاهرة لغوية على حدة، فقد حاولت أن أقتفي أثر فكره اللغوي لأدلل على جهده من خلال ما قدمه للدرس اللغوي. فلاحظت أنه سعى لدراسة سبل ومعيقات الوظيفة الأولى للغة أي؛ التواصل، حيث تطرق لاكتساب اللغة وتداخل اللغات وتأثيرها في بعضها، كما درس مخارج الحروف وما قد يؤثر على تأديتها لوظيفة النطق السليم، وأحصى العديد من الأمراض الكلامية، وأعطى مسببات بعضها وسبل تفادي بعض آخر منها. واستخلصت عدة نتائج يمكن إجمالها في ما يلي:

- ✓ عمل الجاحظ على كتابة نظرية عامة عن الكلام البشري، بمختلف أبعاده وتجلياته.
- ✓ اللغة العربية لغة غنية ذات فكر غني وتراث حي متجدد؛ لا تركة جامدة.
- ✓ الجاحظ كان عالما، إن لم نقل علامة، جمع بين حب العلم والتعلم، وخصائص الباحث عن الحكمة أينما وجدت؛ فقد نهل من ينابيع فكرية متنوعة ضمت فكر الهند والفرس واليونان والعرب، مما أعطاه حنكة وبعد نظر، يجعلان الدارس يقف مشدودا بأسلوبه اللغوي وسعة معرفته.

---

[37] البيان والتبيين، ج:1 ص: 40

[38] البيان والتبيين، ج:1 ص: 55

ومقالي هذا دعوة لمزيد من التمحيص والتحليل لآراء الجاحظ اللغوية المتناثرة داخل أوراقه؛ لوضع وصف دقيق لنظريته اللغوية (اللسانية) والإفادة منها.

المراجع:

- الانغماس اللغوي ودوره في تعليم اللغة العربية، نادية زيد الخير، مجلة الإبراهيمي للآداب والعلوم الإنسانية، ع: 1، 2021، الجزائر.
- البيان والتبيين، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج: 3، مكتبة الخانجي، القاهرة.
- الجاحظ في الخطاب اللساني العربي، يوسف منصر، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع: 2 و3، الجزائر، 2008.
- الجاحظ والدراسات اللغوية، عطية سليمان أحمد.
- الحيوان، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج:1، ط:2، 1950، مكتبة مصطفى البابي، مصر.
- الحيوان، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج:4، ط:2، 1950، مكتبة مصطفى البابي، مصر.
- الحيوان، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ج:5، ط:2، 1950، مكتبة مصطفى البابي، مصر.
- الدرس اللساني عند الجاحظ، محمد الزهرة غافل الشريفي، ، تموز للطباعة والنشر والتوزيع، 2019.
- العالم اللساني عبد القادر الفاسي الفهري، حاور الغرب، وقرأ العرب، وانشغل بقضايا وطنه وعصره، فاطمة يحياوي، آفاق لسانية وتخطيطية مقارنة: أعمال مهداة إلى الأستاذ الدكتور عبد القادر الفاسي الفهري، دار الأمان، الرباط، 2021.
- اللسانيات العربية: رؤية منهجية في المصادر والأسس النظرية، غلفان مصطفى، أعمال الندوة الدولية حول اللغة العربية والنظريات اللسانية: الحصيلة والآفاق كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس، فاس، 2007، https://search.mandumah.com/Record/596621
- اللغة، ج، فندريس، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.
- اللغة والمجتمع، علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر، القاهرة.
- تحليل الأخطاء: مقاربة لسانية تطبيقية لتعلم اللغة العربية، المصطفى بنّان، كنوز المعرفة، الأردن، 2015.
- رسائل الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964.
- عيوب النطق عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين: دراسة لغوية، نورة مروش، 2013، الجزائر.
- مدخل إلى علم اللسان الحديث 4، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، عبد الرحمن الحاج صالح ، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1974.